ISSN : 2716-7984
المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية
المجلد05 / العـدد: 01 (السنة2023)، ص ص ..– ..

الكتابات الجنائزية على شواهد القبور ببلاد المغرب القديم: المضامين والأنواع.

The funerary texts of the tombstones of the ancient Maghreb: contents and types.

بن عبد المومن محمد

BENABDELMOUMENE Mohammed

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

hmoumene31@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2020/02/15 تاريخ القبول: 2020/03/29 تاريخ النشر: 2023/08/24

ملخص: تعتبر صيغ شواهد القبور من الممارسات الشائعة بين سكان العالم القديم، وهي في نفس مقام الإيكونغرافية الجنائزية، أو الأثاث الجنائزي المرافق للأموات، للتعبير عن الانتصار على الموت، أو لتحاكي استمرار الحياة بالعالم الآخر. إن الدراسات التي اهتمت بمضامين الكتابات الجنائزية التي كانت تسطر على شواهد القبور هي في الأساس دراسات كرست أبحاثها لمصطلحات شائعة ظهرت في صيغة الرثاء، أو الأدعية المتداولة بين الأحياء والأموات، أو في صيغة وصايا للأحياء لكي لا ينسوا أمواتهم، وذلك ما سنتطرق إليه من خلال الوقوف على نماذج من هذه الصيغ ببلاد المغرب القديم.

كلمات مفتاحية: الموت، العالم الاخر، الخلود، شواهد القبور، المراثي.

Abstract:

The formulas of tombstones, or as they may be called the formulas of the living and the dead on funerary monuments, are common practices among the inhabitants of the ancient world, and they have the same role as funerary iconography, or furniture funerary, to express Victory over death, and the continuation of life in the afterlife. The studies that have focused on the content of the funerary writings that were inscribed on tombstones are mainly studies that have devoted their research to the common terms that appeared in the form of lamentations, or the supplications between the living and the dead, under form of commandments for the living so that they do not forget their dead, and this is what we will answer to the problem of these formulas used by the inhabitants of the Ancient Maghreb.

Keywords; Death, the other world, Immortality, Tombstones, Elegies

1. مقدمة:

بيّنت نصوص شواهد قبور سكان بلاد المغرب القديم لعلاقة يمكن وصفها بعلاقة العالمين الدنيوي والاخروي تدور حول سبل ضمان

خلود أرواح الموتى بالعالم الاخر، ومن بين الفاعلين في هذا الحوار الممكن تسميته بالحوار الصامت الدائر بين الأحياء والأموات، نجد كل من الأزواج، والأبناء، ليشمل كذلك المارين بجوار القبور، الذين غالبا ما استوقفتهم عبارات رثاء، ورجاء وتوسّل نقشت على شواهد القبور، كأن أصحابها يترجون، وأحيانا أخرى يلزمون الأشخاص الواقفين أمامها بتنفيذ رغبة ما، أو طلب ورد بلسان حالهم، الأمر الذي جعلهم يشفقون على هؤلاء الموتى، ملبيين طلبهم، لعل دعواتهم ستمنح لهم ما يترجونه لبلوغ العالم آخر.

يلاحظ من الوهلة الأولى عند تصفح نماذج من نصوص النقوش الجنائزية، أن صفة الصمت لم تكن مغيبة بين الأحياء ولا الأموات، فصيغ مراثي شواهد القبور التي نقشت على شواهد القبور، جعلت المار بجانبها، الذي يقرأ محتواها إمّا بالسرّ أو العلانية، ففي اعتقاداتهم أن مثل هذا التصرف يشكل في حدّ ذاته تواصلا مباشرا مع الميت، و كان يدرك قارئ نص النقيشة الجنائزية أن مروره، وقراءته لنصها لا يخلو في اعتقاده من الاخطار التي سيتعرض لها إذا ما لم يلتزم بالوصية المدونة على شاهد القبر الذي هو واقف أمامه، أو الطلب المسطور على شواهد القبور الذي ورد في شكل الدّعاء للميت، والترجي لبلوغ العالم الآخر.

أهمية الدراسة:

تفيد هذه الدراسة في التعريف بالاعتقاد بالعالم الآخر، والانتصار على الموت، هذا الاعتقاد الذي كان سائدا بين سكان بلاد المغرب القديم مثلهم مثل باقي شعوب الحضارات القديمة، من خلال ما سطروه من عبارات ترج، وترحم، ومناشدة للأحياء للحفاظ على ذكراهُم في العالم الدنيوي، وتبرز أيضا اعتقاد الاحياء بوجود عالم آخر تتنعم فيه الأرواح بالحدائق الإليزيه، فكانت تحمل شواهد قبورهم صيغ مختلفة منها شعور بالحسرة تارة، أو بالرّاحة والاطمئنان تارة أخرى.

أسباب اختيار الموضوع:

من أساسيات الحياة عند شعوب العالم القديم، هو الإيمان بالعالم الآخر، لذلك حاولت من خلال هذه الدراسة توضيح، وإيصال نموذج آخر من العالم القديم يخص بالاعتقاد الذي كان سائدا بين سكان بلاد المغرب القديم حول الموت وما يرافقها من آلام لأهل الميت، أو راحة لموتاهم والتي وجدت مسطورة على شواهد القبور بمختلف الصيغ مقارنة مع ما عرفته الحضارات القديمة مثل الفرعونية التي سخر سكانها الأموال الطائلة، والطقوس الجنائزية المكلفة، في حين نجد أن سكان بلاد المغرب القديم قد اكتفوا بصياغات ادبية كانت كافية لتحقيق الغرض، وللتعبير عن شعورهم تجاه موتاهم الذين جعلوهم يتمتعون بالراحة الأبدية في العالم الآخر.

منهج الدراسة:

لمعالجة هذا الموضوع، كان لزاما اعتماد منهج البحث التاريخي، الذي يعتمد على جمع المادة من مصادرها، وبحكم أن مصادر مثل هذه الدراسات تعتمد أساسا على سجلات النقوش اللاتينية التي جمعت فيها عديد النقوش، إضافة للدراسات المتخصصة التي تعتمد على نصوص النقوش الجنائزية، قمت بعرض نماذج من صيغ نصوص النقوش التي دونت على شواهد القبور، التي ستفيد الباحثين في دراساتهم الخاصة بكل ما يتعلق بالإسكاتولوجيا.

إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية البحث الرئيسية حول التساؤل التالي: إلى أي حد يمكن اعتماد صيغ شواهد القبور للكشف عن تصور، وتعامل سكان بلاد المغرب القديم مع الموت والإعتقاد بالعالم الآخر؟ لتتفرع من هذه الإشكالية المحورية تساؤلات فرعية، تدور حول : مدى مساهمة الصيغ المستعملة في نصوص شواهد القبور في الكشف عن حيثيات وتفاصيل مختلف طرق لبلوغ الخلود والانتصار على الموت، وما هي أهم توصيات

الأموات للأحياء ؟ وسأحاول الوقوف على هذه التساؤلات برصد، وعرض نماذج من هذه الصيغ المدونة على شواهد القبور، وتحديد مجالات استغلالها كمادة تاريخية ستثري لا محالة الدراسات المتعلقة بالاعتقاد الخاص بالعالم الآخر.

2. نماذج من صيغ شواهد القبور اللاتينية ببلاد المغرب القديم:

إنّ مكانة الأموات بين الاحياء في الحضارات القديمة، من بينها بلاد المغرب القديم التي هي جزء منه، تم تحديد مختلف مراحلها، بدءا من طقوس الدفن إلى نقش عبارات الرثاء، وطلب الدعاء من الاحياء بعبارات شائعة، نجدها تتكرر كثيرا على الشواهد الجنائزية مثل "ليكون الثرى خفيفا عليك- Sit tibi terra leueis" ، أو العبارة الوثنية التي تعني " يرتاح هنا -hic situs est " ، والصيغة المسيحية التي ترمز للراحة الأبدية" despositus"، وفي نفس المعنى نجد صيغة ترمز لنفس المعنى لدى المسيحيين، والتي تعني الذهاب للراحة الأبدية " in pace positus" والغرض من كل المراثي ليس إعادة الموتى إلى الحياة الدنيوية، بل الأمر قد يكون أقرب إلى استحضار أرواحهم بين الأحياء، والحفاظ على ذاكرتهم، والدعاء لهم لبلوغ العالم الآخر. لذلك كانت نصوص السجلات التي تناولت النقوش الجنائزية اللاتينية ببلاد المغرب القديم، ومضامينها جعلتنا نقف أمام نوع من الإتفاق المسبق الذي مفادها أن الميت يمكن له أن يتحدث إلى الأحياء من أفراد أسرته، أو أي شخص مار بجانب قبره،

ووقف امام نص نقيشة شاهد قبره، كما كان للأحياء من أهل الميت الحق في مخاطبة ميتهم، والتباهي بخصاله، ونشاطه في الحياة.

توجد مجموعة من النقوش الجنائزية وردت بلسان حال الأموات مثلما كشفت عنه إحدى نصوص النقوش الجنائزية التي عثر عليها بموقع (كيرتا - Cirta) قسنطينة، يوضح ضمنها صاحب القبر أنه كان مصرفيا، وهو الذي كتب نص شاهد قبره في حياته، لكنّه لا يستطيع الحديث بعد موته، مما يبين أنّه قد استبق موته، و سيصبح عاجزا عن فعل أي شيء بعد موته، وانتشار ظاهرة انجاز المدافن في حياة الافراد (Griffe M, - Lassere J.M, Soubiran J.,1997, pp15-25) .

هذا واستخلصنا من مضامين بعض النقوش الجنائزية أن الأحياء كانوا يتباهون بأمواتهم من خلال صيغ مختلفة دونت على شواهد قبورهم، وما يلفت الانتباه في هذه الدراسة التي اعتمدنا فيها على نقوش جنائزية عثر عليها ببلاد المغرب القديم، أن أنواع المراثي المنقوشة على شواهد قبور الموتى تؤكد حالات الإتصال بين الموتى والأحياء عن طريق حوار أطلقنا عليه اسم "الحوار الصامت" الذي ورد بشكل منهجي، في صورة طلب، أو أمنية، أو نصيحة، أو ثناء موجه للأحياء، نرد نماذج منها التي توحي لراحة المُتوفى داخل مدفنه، وذكر الموت على أنه راحة يستمتع ضمنها بحياة أخرى دون قلق، أو أنه يتمتع قي الحدائق الإليزيه، وأنه يتمتع بحياته الأبدية، وأحيانا يناشد المارة الذين يقفون أمام قبره بالدعاء

له، أو نصحه لهم بتشييد مدافنهم في حياتهم، كما عبروا من خلال شواهد قبور أطفالهم على نمط مخالف لما ذكروه على الموت، على أنها خطفت، وظلمت أطفالهم في عز طفولتهم، وشبابهم، كما لم تغفل نصوص شواهد القبور لذلك الحوار بين الزوج وزوجته، وللإخلاص بينهما، الذي انتهى بوجودهما بمدفن واحد لمواصلة الحياة في العالم الآخر بعد نفاد مدة وجودهما في العالم الدنيوي، وذلك ما سنفصّل فيه من خلال نماذج من صيغ المراثي التي نقشت على شواهد قبور وجدت ببلاد المغرب القديم، ومن بينها:

أ- صيغة: "الموت راحة وآمان":

إحتوت نصوص النقوش الجنائزية على عبارات تدل على راحة الميت داخل قبره، وغالبا ما استخدمت لدى الوثنيين عبارة " يرتاح أو ترتاح هنا- Hic situs (a) est"، مقارنة مع العبارات المستعملة من طرف المسيحيين في العصر القديم التي تدل على الراحة الأبدية " depositus, - a" لروح الميت.

ورد ضمن محتوى بعض النقوش اللاتينية ببلاد المغرب القديم عبارات تدل على راحة الميت داخل مدفنه، و للموت أنها راحة له من قلق الدنيا، فعلى سبيل الذكر لا الحصر عثر بالموقع الأثري المسمى (اسوراس-Assuras) بمنطقة (زنفور) التابعة لولاية (الكاف) التونسية على نص نقيشة مدون عليها اسم المتوفى "بريموس- Primus" مخاطبا كل من يقع نظره على نصها بما يلي: " .... أرتاح، محروما من النور تحت عالم الأحياء، أنا الآن متأكد من راحتي، أنا في مأمن من مخاطر الحياة..." ,Wilmanns.G, Mommsen.Th, 1881)

(CIL,VIII,16463. ومن خلال نص نقيشة تعود لسنة 266م عثر عليها بمنطقة (أوزيا- Auzia)(Ibid, CIL, VIII, 9170) التي تعرف اليوم بمدينة (سور الغزلان) بالجزائر، الإستوقفتنا العبارة المنقوشة على شاهد قبرها :" ... بكل فرح، أرتاح الآن... "، وتتكرر مثل هذه العبارات في العديد من نقوش شواهد القبور، بصيغ تصب في معنى واحد، منها التي نقشت على شاهد قبر بمدينة (قيصرية- Caesarea) شرشال بالجزائر ,Leveau Ph, 1977) (pp223-229) ، التي كانت عاصمة موريطانيا القيصرية أثناء الإحتلال الروماني، حيث يشار عليها لصاحبها الذي بلغ ثمانون عاما، بأنه يرتاح في قبره مستمتعا بنوم الموت المريح.

كما تضمن نوع أخر من الاهداءات على شواهد القبور لعبارات تشير لاستقرار الأرواح التقية، فنجد مثالا عن ذلك من خلال إهداء لشاب ورع اسمه "فلافيوس نتاليس فيتوريانوس"، كان ملتزما بأداء الطقوس، ويذكر ضمن محتوى نص النقيشة أنه مرتاحا داخل قبره بدون قلق(Secure quiescis)، ويطلب أن تقدم المأدبة الجنائزية على الأرواح الورعة (Gsell.S, 1922, ILAg,1, n^0 2221).

إن الإيمان المشترك بالعالم الآخر بين الأحياء والاموات حسب نصوص شواهد القبور، يؤكد الطابع الإيجابي للموت في اعتقاد القدامى، ومن ناحية أخرى، لكنّ موضوع التحرر أو الراحة الذي يجلبه الموت بعد الحياة لم يستخدم كثيرا في المراثي المسيحية أثناء العصور القديمة، وغالبا ما كان يختصر بما يلي:

"ترتاح هنا بعد الموت- Hic iacces extinctus "، لأن المسيحيين يركزون في صياغة نصوص شواهد قبور موتاهم على الحياة إلى جانب المسيح عليه السلام، ويعتقدون أن اسم المتوفى يصل بعالم النجوم الذي تخلد فيه روحه، مثلما عبر عنه نص شاهد قبر العذراء " اوربيكا- Urbica" " Urbica, quod nomen semper in astra uiget "(CIL,VIII, 27916) المتوفاة بمدينة (تيفست- Theveste) تبسة بالشرق الجزائري،

كما نجد ضمن نقيشة مسيحية لكاهن اسمه " فيتاليس- Vitalis" تعود لسنة 545-546م عثر عليها بموقع (سفيتلة- Sufetula) سبيطلة بتونس، يذكر ضمن محتواها، أن هذا الكاهن عاش سبعون سنة، معبرا عن حالته الجديدة بما يلي: " .... اليوم، أعرف الراحة- Hic positus placida"(Merlin. A, AE, 1946, 115) ، مما يؤكد انتشار اليقين بين الأحياء أثناء تلك الفترة بأن الأموات يرتاحون في بيتهم الجديد، الذي يقصدون به القبر بكل راحة بال التي يستحقونها " Hac sede Digna in pace quiebit" (Merlin. A, AE,1953,49).

ب- صيغة : "الموت غير عادلة ومؤلمة":

وردت بعض الصيغ من المراثي، تخفي من ورائها فاجعة الموت، ومدى التأثر بفقدان فرد من العائلة، والاستثناء هذا، كان يخص حالات موت الأطفال التي استمر العمل بها حتى الفترة الوندالية ببلاد المغرب القديم(429- 534م)، مثلما نلمسه من الكلمة الأولى التي استُفتح بها نص النقيشة التي كتبتها أم الطفلة المتوفاة " داميرا- Damira"(Wolff È, 2000, pp299-303) على شاهد قبر ابنتها، حيث استهلت السطر الأول منها بعبارة مؤلمة، ومحزنة، تدل على عمق حزن الأم على وفات ابنتها بقولها: " آه الألم - Heu dolor ".

هذا، وتمّ استخلاص من مضمون إحدى النصوص الجنائزية الوثنية ، أن الأب يرثي طفله، ويذكر أنه قد تعمّد عدم كتابة اسمه، وعمره، لتفادي بقاء الحزن في قلوب أهله عند قراءتهم لاسمه" ne dolor in memtem cum legimus maneat"، معبرا ضمن نص هذه النقيشة عن " انتصار الموت على الحياة- mors uitam uicit " (Lassere J.M,1973,p142).

ت- صيغة :"طلبات الترجي والأدعية للأموات":

وجدنا في نهاية الأسطر الأخيرة لبعض نصوص شواهد القبور ببلاد المغرب القديم

لصيغ مكتوبة في شكل خطابات موجهة للأحياء، تضمن محتواها لعبارات تحثّ الأحياء للدعاء للأموات، لكي لا ينسوهم، أو يغيبوهم عن ذاكرتهم، نذكر نموذجا لهذه الصيغ وردت ضمن نقيشة لاتينية عثر عليها بموقع (حضرموتم- Hadrumetum) سوسة التونسية، يحثّ فيها زوج المتوفاة المسماة " أزيبيا – Eusebia" من كل شخص ان يتذكرها، ولا ينساها " fratres, uestris precibusque " (Merlin. A, 1944, IL Tunisie, 193).

وعلى عكس من ذلك، إستوقفنا السطر الأول من نص نقيشة جنائزية تعود لنهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث الميلادي، عثر عليها بموقع (كيرتا- Cirta) قسنطينة لعبارة غالبا ما كانت تختم بها نصوص شواهد القبور الموجهة للمارة على القبر، إذ نجد الأمر مختلف في هذه

الحالة، حيث استهل نص النقيشة بتنبيه للمسافر بمعنى المار بجوار القبر بما يلي: "أيها المسافر الذي أنت في عجلة من أمرك، يرجى إبطاء من خطواتك، لتعلم في بضع كلمات ما كان أصلي ونهايتي- Qui properas, quaeso, tarda , uiator, iter ut paucis discas cum genus exitium" ، وينتهي نص هذه النقيشة بطلب من قارئ نصها بعدم التردد بالقول أن بقايا " سيتيوس أوبتاتوس- Sittius Optatus" ترتاح في هدوء (CIL,VIII, 7759).

تنوعت صيغ نصوص النقوش المتعلقة بمخاطبة الأموات للأحياء، فعلى سبيل الذكر لا الحصر ، نجد الخطاب الموجه للحيّ من طرف إمرأة غنية تُدعى " نوربانيا ساتورنينا- Norbania Saturnina"المولودة بروما، والمتوفاة بأرض (ليبيا)، يتضمن محتواه أمرا بقراءة نص النقيشة" Tu quoque praeteriens tumulum qui perlegisistum"، وخُتم بتنبيه للمار إلى جانب قبرها لكي يعرف أين يضع قدماه لكي لا يدوس تراب قبرها" Parce meos cineres pedibus calcare proteruis" (CIL. VIII,24787)، لكن ذلك لا يمنع من إدراج نص نقيشتها بطلب منها للأحياء بأن يذكروها، خاصة وأن محتوى هذه النقيشة لم يذكر من الشخص الذي قام بتشييد مدفنها، ويحتمل أنها هي صاحبة هذا الإنجاز قبل وفاتها.

تعدى رجاء الأموات من الأحياء الذين يقفون أمام شواهد قبورهم من الدعاء لهم، وتذكُرهم، إلى طلب : "درف الدموع"، لأن القبر يمثل حُزنا ليس بالهيّن- Funde precor lacrimas.Non minor hic dolor est" مثلما يذكرنا بذلك بنص نقيشة قرطاجة التي تعود للفترة البيزنطية حوالي سنة 564م(Pikhaus D,1994,A20).

ث- صيغة : "التباهي بحدائق الإليزيه أمام الأحياء":

لم تخلُ مضامين النقوش اللاتينية لشواهد القبور من صيغ مخاطبة الأموات للأحياء من خلال عبارات استوقفت المارّين بجانب القبور، تضمن محتواها التباهي بحدائق الإليزي، أو عالم الإليزيون" EULISION" الذي يمثل الفردوس عند الإغريق والرومان. فنجد ضمن النقيشة اللاتينية التي عثر عليها بمنطقة (عين الغراب) بتونس ,CIL,VIII) (12118 عن مصير شخص بعد موته يدعى " موسيوس بوتانس- Mossius Potens"، ولسان حاله يقول: " ... بأنه يتجول في المروج الاليزيه...." ، ليُختم نصها بتوجيه لكل قارئ واقفا أمام شاهد قبره بالإقتراب، والإنتباه" erro per Elisia prata"، وعند مراجعتنا للنقيشة، وجدنا السطر الأول منها يقول فيه : " .... أنا كنت من بين الأحياء..."، لعله كان يريد ان يُبلّغ رسالة للأحياء، بأن الموت أمرا حتميا لا بد منه.

تمّ التعبير عن راحة الميت الذي يتنعم فيها بالعالم الآخر، من خلال الصيغة المدونة على شاهد قبر " تيتوس رايسيوس سيفيروس- Titus Raecius severus" الذي يعود تاريخه للقرن الثالث الميلادي، على أنه : " يعيش في الحدائق الإيليزيه بمروجها الغنية، وأنه نائم بين أزهار الحقول التي تغطيه- Nunc campos colis Elysios herbasque uirentes, floribius asparsusiaces ex pratalibus aruis"، وعند الرجوع لسنّ المتوفي الذي بلغ تسعون سنة، والعمل

الذي قام به طيلة حياته في بناء المعابد، وإشادة حفيده الذي شيد له هذا الشاهد الجنائزي، مبينا من خلاله أن كل أعماله الخيرية التي قام بها في حياته مكّنته من التمتع، ومواصلة الحياة بحدائق الإليزيه، مثلما ورد على نص شاهد قبره: "Vixit , cursum uitae binitate replesti" (Pikhaus D, 1994, 2, A118).

ومكنتنا عبارات إحدى شواهد القبور عن موت زوجين، وهما "آيميليوس آكويلينوس- Aemilius Aquilinus"، و" آيميليوس بربروس- Aemilius Barbarus"من مدينة (مادوروس-Madauros) مداورش بالشرق الجزائري داخل مدفن واحد، وأن الزوجة تتمتع في حدائق الإليزيه برفقة زوجها" Elysios celebrat, caro coniuncta marito "' **كما يستخلص من نص شاهد هذا القبر، أن قبرهما قد أنجز في حياتهما، اعتقادا منهما في الترابط، والتواصل في الحياة الزوجية بالعالم الاخر.**

3. وصايا بإنجاز القبور قبل الموت:

نجد عبارات أخرى نقشت على شواهد القبور وردت بلسان حال الأموات، يطالب أصحابها من الأحياء بتحضير قبورهم وهم أحياء، مثلما جاء ضمن نص إحدى شواهد القبور على النحو التالي : " ... أثناء حياتي، بنيت قبري، وعندما أمُرُّ عليه، أقرأ ما كتبت على شاهده- Dum sum Vitalis et uiuo, ego feci sepulcrhum"، ويوجه ضمن النص على الاقتداء بما أنجزه وهو حي، قائلا: " .....أناديك أنت، أيها الشاب، إذا كنت عاقلا، أبني قبرك وأنت حي- Quisque sapis, iuuenis, uiuo tibi pone sepulcrhum"(CIL,VIII, 1027).

عثر كذلك على نص نقيشة تعود لنهاية القرن الثالث وبداية الرابع الميلادي، بمنطقة (هنشير تدجرارين- Hr Tedjerarine) غرب (سيقوس-

---

Sigus) بأم البواقي بالشرق الجزائري، يذكر صاحبها "كلاوديوس بروسيسوس- Clodius Processus" أنه كان كثير السّفر برا وبحرا طيلة سنوات، وفي نهاية المطاف إستقر داخل هذا القبر الذي أنجزه في حياته " hanc quoque domum aeterna mihi ...." . (CIL,VIII,5749)

ونفس العملية تتكرر، لكن بصيغ مختلفة، ومست عدة شرائح من المجتمع الوثني، مثلما هو الحال بالنسبة للمحامي " لوكيوس كالبوغنيوس فلامينينوس- Lucius Calpurnius Flamininus" من مدينة (لامبايزيس- Lambaesis) تازولت قرب باتنة بالشرق الجزائري، فنجده لم يتوان في تشييد مدفن وهو حي، وضعت بداخله فيما بعد كل من زوجته وأبنائه، والمعتقد أن الموت الجماعي لهذه العائلة يحتمل لسبب إصابتهم بوباء أدى لموتهم (CIL,VIII, 3506).

تطرق مضمون نص نقيشة جنائزية عثر عليها بقرطاجة (Pflaum H.G, 1940,pp321-334) ، تعود لنهاية القرن الثاني الميلادي، أن " فلويا أنتيجونا-Flauia Antigona تتباهى بتشييد مدفنها في حياتها" Dum sum Vitalis et uiuo, ego feci sepulcrhum "، وكانت تقرأ نص شاهد قبرها كلما مرّت عليه" adque meos uersus dum transseo perlego et ipse"، ثم يُختم نصها بدعوة لتهيئة القبر في حياة الإنسان" Quisque sapis, iuuenis, uiuo tibi pone sepulcrhum ". وبالتالي يمكن استخلاص أن

تشييد الفرد لمدفنه وهو حي خلال العصور القديمة يعتبر من التصرفات الاحتياطية، وللتّأقلم مع المصير القادم الذي ينتظر الإنسان.

لكن تحضير الحي لمدفنه وهو حي، كان مقرونا بتحضير نقيشة، ووضعها على القبر ليقرأها الأحياء، ومنه صاحب المدفن مثلما تعرفنا عليه إحدى فقرات نص شاهد قبر رجل كان يمتهن الصرافة بمدينة (كيرتا) يدعى "برايسيليوس-Praecilius " كتب على شاهد قبره ما يلي: " العبارات التي تقرأها، أنجزتها في حياتي، لأتذكر وفاتي- Sequimini tales: hic uos expect, uentae)" Bache P.E, 1857, pp25-43).

والأمر الملفت للانتباه، أن بعض النقوش تجاوزت وصف العالم الآخر والموت، فأصبحت شواهد قبورها منبرا تُسدى من خلالها النصائح للتمتع بحياة أفضل، ولتبقى ذكرى الفرد خالدة بين الأحياء، مثلما هو الشأن بالنسبة لامرأة من قرطاجة، يعود تاريخ نقيشة شاهد قبرها للقرن الثاني الميلادي، ومما جاء ضمن نص شاهد قبرها، عبارة عن نصيحة لكل امرأة تريد أن يبقى ذكراها بين أهلها، وبالأخص زوجها مثلما هو مذكورا على نصها، ناصحة لهنّ بما يلي:" ... مهما كُنت، أيتها المرأة الموقرة، يمكنك أن تعيشي بعفة، وأنا متأكدة من أن تكُوني محبوبة إذا حرصتي على مبادئ الإخلاص التي طالما حافظت عليها...." Hamdoune Chr, 2006, pp) (1001-1020 ، مما يؤكد لنا أن النقوش الجنائزية التي أنجزها أهل الميت، أو الميت قبل وفاته، لم يقتصر محتواها للمراثي فقط، بل ضمت مواضيع أخرى، مثل الإشادة، والتباهي بإخلاص الزوجة لزوجها بعد مفارقتها للحياة، أو إشادة الزوج بإخلاص، وأخلاق زوجته المتوفاة مثل نص النقيشة التي تعود لما بين القرن الثالث والرابع الميلاديين لامرأة

اسمها " بريا- Brea" من مدينة (تيفست- Theveste) تبسة، ماتت وهي حامل، نجد زوجها قد شيّد لها مدفنها، معتزا بإخلاصها له من خلال الأسطر التي سطرها على شاهد قبرها، عبر من خلالها عن شعوره تجاهها بقوله: "... أحييك، .... عاشت دون عتاب....فارقت الحياة وهي حامل، أعيد جسدها للطبيعة ... " (CIL, VIII, 2005).

تضمن نوع آخر من النقوش لصيغ تدل على خلود الفرد من خلال أولاده، وأحفاده الذين يحفظون ذكراه، ومن ذلك استقينا نص نقيشة بموقع (تيفست- Theveste) تعود للقرن الثالث الميلادي (Cholodniak J,1904, A137)، كتب على شاهد قبر المدعوة " جوليا فورتوناتا- Julia Fortunata" ، نصا في شكل خطاب موجه لزوجها بلسان حالها مذكرة إياه بما يلي: " ... أنت حية، وأنا أيضا من خلال أحفادنا- natorum natis te incolumi uigui "، فيستخلص من هذا النوع من الصيغ، أولا الحفاظ على ذكرى الأموات، ومن جهة أخرى يشير أيضا للحياة بالعالم الآخر الذي أصبح يتمتع فيه الزوجين بالحدائق الإليزيه من خلال ما خلفوه من أولاد، وأحفاد يحفظون ذكراهم، وأسمهم، فثنائية الحياة بالعالمين الأخروي، والدنيوي لم تقتصر على شعوب بلاد المغرب القديم بل نجدها أيضا حاضرة ضمن انشغالات شعوب الحضارات القديمة، لكن طرق الوصول إلى الخلود في العالم الاخر قد اختلفت، وعقلنة اللامعقول، وتقبل الموت هي الأخرى اختلفت بين شعوب العالم القديم.

4. الخاتمة:

يستخلص من هذه الدراسة، أن صيغ شواهد القبور المختلفة تمثل أداة بحث مهمة يعتمد عليها الباحث في الكشف عن تفاصيل تبقى نادرة، قليل ما تناولتها الدراسات الحديثة بالتفصيل، وفيما يخص موضوع بحثنا الخاص بأهمية هذا النوع من الصيغ لدراسة كيف كان تصور سكان بلاد المغرب القديم للعالم الآخر بعد الموت، مقارنة مع اعتقادات شعوب حضارات قديمة، وبالتالي نستخلص جملة من النتائج، يمكن للباحث أن يقف عندها، والتي نوجزها فيما يلي:

- تسمح صيغ المراثي المدونة على شواهد القبور بالكشف عن جملة من الحقائق التاريخية الخاصة بالحياة والموت.
- يمكن من خلال هذه النقوش الوقوف على تفاصيل الآلام التي تتسبب فيها موت الأطفال، أو الراحة الأبدية التي سطرت لكبار السن.
- تفيد هذه الدراسة في إثراء الدراسات المتعلقة بالإسكاتولوجيا، التي تخص التعامل مع الموت، والعالم الاخر.

- تعرفنا على نوع آخر من الطرق الغير مكلفة التي انتهجها سكان بلاد المغرب القديم لبلوغ الخلود التي اختزلوها في عبارات أدبية معبرة، مقارنة مع الطقوس الجنائزية الجد مكلفة بمصر القديمة.
- تسمح هذه الدراسة بالتعرف على الاعتقاد في التواصل بين الأموات والأحياء من خلال نصوص النقوش بمختلف صيغها، واستعداد الاحياء للعالم الآخر من خلال إنجاز مدافنهم في حباتهم الدنيوية.

5.المراجع

- Bache P.E, (1856-1857), Le tombeau de Praecilius, Recueil des Notices et Mémoires De La Société Archéologique De La Province De Constantine, pp25-43.
- Cholodniak J,(1904), Carmina Sepulcralia Latina Epigraphica, Petropoli, 2eme Èd , n^0 A137.
- De Pachtere F.G,(1900), Musée de Guelma, Collection des Musées et Collections archéologiques De l'Algérie et de la Tunisie, Paris.
- Griffe M, Lassere J.M, Soubiran J., (1997) , Epitaphe du banquier Praecilius, Vita Latina, 146, , pp15-25.
- Gsell.S, (1922), Inscriptions Latines de l'Algérie, (=IL Alg.), ed, Paris, H. Champion.

- Hamdoune Chr, (2006), Mouvements de Population dans les Carmina Funéraires Africains, Africa Romana, 16, pp1001-1020.
- Lassere J.M, Recherches sur la chronologie des épitaphes païennes de l'Africa, in Antiquité Africaine, 7, 1973, pp7-151.
- Leveau Ph, (1977) Les hypogées de la rive gauche de l'oued Nsara, Antiquité Africaine , 11, pp223-229.
- Merlin. A,(1946) , Année Epigraphique, (=AE), Presses Universitaires de France.
- Merlin. A, (1944), Inscriptions Latines De La Tunisie, (=IL Tunisie), Pris, Presses Universitaires de France.
- Pflaum H.G,(1940), Essai sur le cursus publicus sous le Haut empire romain, in MAIBL, 14, Paris .
- Pikhaus D, (1994), Répertoire des Inscriptions Latines versifiées de l'Afrique Romaine, I, Tripolitaine, Byzacene, Afrique Proconsulaire, Bruxelles.
- Wilmanns.G, Mommsen.Th, (1881)Corpus Inscriptionum Latinarum (= CIL, VIII), Berlin.
- Wolff È, (2000), La Poésie funéraire épigraphique à Rome, Rennes , Études Anciennes, pp299-303.